الفصل الثالث عشر

مرحلة تحقيق الغاية السياسية من الحرب محاولة قلب نظام الحكم

« الأخلاق ليست فقط نظامًا للتعامل بين الناس .. ولكنها هي التي تنظم المجتمع وتحميه من الفوضى والفناء »

نجيب محفوظ

١- جنرالات "الليبرالية" في طريقهم لتحقيق الغاية السياسية:

أما وقد، انتصر "جنرالات" الجيش المؤمنين بالفكر الليبرالي، على أنصار النظام الاشتراكي الناصري، انتصارًا ساحقًا أسطوريًا في حرب ٦٧...

أما وقد، حققوا مهمتهم العسكرية، المكلفين بها بكفاءة عالية، سواء بتدمير وسحق الجيش المصري، أو إسقاط "سيناء" في يد العدو الصهيوني "...

أما وقد، صنعوا الكارثة القومية والصدمة النفسية الشديدة لجميع المصريين والعرب، طبقًا للمخطط الذي وضعوه، وأعدوا له ما استطاعوا من مقومات وعوامل النجاح... فإنه، قد "أصبح الشعب المصري داخل دوامة الاختلال وعدم الاتزان العقلي والنفسي - التي هي نتيجة للصدمة النفسية الشديدة التي أحدثتها تلك الكارثة القومية - مهيأ تمامًا لإجباره وإرغامه على التخلي عن ولائه وعشقه الجارف للنظام الاشتراكي الناصري، وعن ذلك الزعيم جمال عبد الناصر الذي طالما افتتن به دومًا، والدخول فى حظيرة المعسكر الغربى الأمريكى.... وأن يقبل مكرهًا ومرغمًا عودة "النظام الليبرالي" مرة أخرى.... إنها الهزيمة... فرض إرادة الغالب على المغلوب بالقهر والقوة.... ليزعن المغلوب لإرادة الغالب في كل ما يريده .... سنن الحرب والحياة...

بدت هزيمة ٦٧ - كأمر طبيعي - وكأنها انتصار للعدو الإسرائيلي على مصر... طالما أن الحرب نفسها بدت وكأنها حرب حقيقية نشبت بين جيشنا المصري وجيش الأعداء.... وأن النصر بالتالي كان لصالح جيش الأعداء!!.

ولم يكن يخطر في بال أي مصري، أن العدو الحقيقي الذي قاد الحرب إلى هذا النصر الأسطوري.... هو نفسه الذي قاد الجيش المصري إلى تلك الهزيمة الساحقة المهينة... طالما تخفى ذلك العدو في زي "جنرالات" مصريين مخلصين وأوفياء لمصر الوطن وللمصريين...

خيم الليل البهيم سماء القاهرة.... وأسدل الظلام ستائره.... وساد السكون صفحة النيل الغاضب.... وظل الناي يعزف لحنه الحزين، حين تقدم "جنرالات" الجيش يضمرون في قلوبهم السوداء كل الحقد والكراهية لمصر والمصريين... يريدون أن ينفذوا إرادتهم... إرادة الغالب على المغلوب بالقهر والقوة....

٢ - حكومة ابن بدران قادمة على دبابات إسرائيلية:

كشف توقيت عملية قلب نظام الحكم ؛ لتكون مباشرة بعد تمكين الجيش الإسرائيلي من تدمير الجيش المصري واستيلائه على "سيناء"، الصورة الصارخة الفاضحة... أنها الخطوة السياسية التي تدخل في سياق أحداث الحرب نفسها، تلك الخطوة التي تلي تحقيق النصر مباشرة، إنها المهمة الأخيرة "للجنرالات": " تحقيق الغاية السياسية من حرب ٦٧ ".

تُرى.. بأي منطق يقبل الشعب المصري حكم هؤلاء "الجنرالات" الذين خذلوه وتخلّوا عن الدفاع عن أرضه، وفروا من ميدان المعركة من اليوم الثاني للحرب؟... إلا أن تكون حكومة مفروضة بالقوة والقهر من الجيوش المنتصرة على الأمة المصرية المهزومة... حين يتحتم على الشعب المهزوم أن يخضع لإرادة المنتصر... و تنفيذ رغباته مرغمًا و مقهورًا.

صورة طبق الأصل من حكومة "حامد قرضاي" التي فرضتها الولايات المتحدة على الشعب الأفغاني بعد غزوها لأراضيها، أو حكومة " إبراهيم الجعفري" التي فرضتها أيضا على الشعب العراقي بعد اجتياحها للعراق... نعم لقد حددت خطة "ابن بدران" لقلب نظام الحكم بدقة ملامح صورة حكومة قادمة على دبابات إسرائيلية لتفرض استراتيجية القوة المنتصرة.

٣ - ماذا ينتظر جنرالات الحرب الفارين من ميدان القتال؟

من ثاني أيام المعركة، ركب "جنرالات" الحرب عرباتهم الجيب وانطلقوا فارين من ميدان القتال، يسابقون الريح ؛ ليعبروا قناة السويس إلى الإسماعيلية، بعد أن أمروا قواتهم بإخلاء مواقعهم العسكرية ؛ ليُمكنوا لجيش الأعداء الإسرائيلي من اجتياح الأراضي المصرية ولتدمير وسحق الجيش المصري واستيلائه على "سيناء"... باعوا شرفهم... باعوا رجولتهم..وباعوا كل المبادىء وقيم المثل العليا الإنسانية... فضاع الجيش... وضاعت زهرة شباب و رجال مصر... وضاعت "سيناء".

وظهرت الصورة المخزية بوجود " شلة المشير" في ظل معسكر الجلاء الفاخرة بالإسماعيلية، من اليوم الثاني للمعركة يستمتعون بكل وسائل المعيشة المرفهة، ويتابعون أخبار الجيش المصري الذي تحصده مدرعات الصهاينة أرضًا وطائراته سماءً، ثم ما كان من رفضهم الاشتراك في تنظيم أي مقاومة ضد العدو الصهيوني، لتقليل حجم الكارثة، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرواح أبنائنا المقاتلين الشرفاء، الذين تزهق أرواحهم في مذابح جماعية وحشية، بعد أن قلبوا صورة الحرب من صراع بين قوتين إلى قتال من طرف واحد، لقد دبّروا وأحكموا التدبير لتدمير الجيش المصري، في أبشع صورة لم تحدث له في تاريخه العسكري الطويل.. أطول تاريخ عسكري في تاريخ البشرية.

ولكن أليس عجيبًا وغريبًا... فرار "جنرالات الحرب "الليبراليون" من ميدان القتال في اليوم الثاني للحرب، دون أن يخشوا عقاب السلطة الحاكمة للدولة؟!....

أليس عجيبًا وغريبًا... أن يجلس "جنرالات" الحرب "الليبراليون" في ظل معسكر الجلاء الفاخرة، ينتظرون نهاية المعركة في ظل كارثة مروعة بشعة...

ألم يعملوا حساب لهذا اليوم الأسود الذي لن تطلع عليه شمس، حين يواجهون جماهير الشعب المصري التي كانت تنتظرهم بأكاليل ورايات النصر، فإذا بهم يفاجئوها بعار وخزي الهزيمة؟!.

كيف يعيش هؤلاء "الجنرالات" بهذا الخزي والعار في مجتمع يؤمن عن عقيدة راسخة، بأن الموت شرف وغاية للرجال في ساحة القتال، لا يقبل عليه اختيار آخر؟!.

كيف يواجهوا أنفسهم؟!.. تأنيب الضمير... ألم السقوط... العار الذي سيلحق بهم وبعائلاتهم... الإحساس بالمهانة... نظرات الآخرين لهم بالاحتقار والازدراء.

على أن إحساسنا بالغرابة والعجب في تلك الصورة، لم يأت إلا حين نزعناها من سياق أحداث قصة الحرب البشعة.. لعرضها على مقاييس قيم المثل العليا العربية الأصيلة، وليس على مقاييس قيم المثل العليا "الليبرالية" التي يؤمن بها "جنرالات" الحرب "الليبراليون"، والتي تؤكد أن " الغاية تبرر الوسيلة "، وتبيح استخدام كافة السبل والوسائل الغير أخلاقية لتحقيق الأهداف "الليبرالية" السامية.

إذن.. لم يكن الأمر كذلك... وكانت الصورة التي تصورناها في خيالنا مختلفة تمامًا عن صورتها الحقيقية، والتي تحكي بعودة "جنرالات الليبرالية" منتصرين، كلهم فخر وإعتزاز، لقد حققوا أعظم انتصار فى تاريخ "الليبرالية"...

بتدمير الجيش الاشتراكي الناصري وإسقاط "سيناء" في يد أعداء عبد الناصر... ونجحوا في تحقيق الهدف النهائي من الحرب وهو: " إحداث كارثة قومية"، تصيب المصريين بصدمة نفسية شديدة، تفقدهم الثقة في صلاحية النظام الاشتراكي الناصري وزعامة جمال عبد الناصر، تفيق الشعب المصري من نشوة انتصارات عبد الناصر.. حين يهدي هذا الانتصار الرائع لإسرائيل.. لتبدو حرب ٦٧ وكأنها نشبت بين مصر وإسرائيل!!... وتبدو إسرائيل وكأنها انتصرت على أقوى قوة ضاربة في الشرق الأوسط، ودمرت الجيش المصري العظيم... واستولت على "سيناء"!!.

وطالما نجحت إسرائيل في استثمار هذا الأمر لتصنع أكذوبتها التاريخية بأنها: " صاحبة النصر الأسطوري على مصر " وأن جيشها لا يقهر!!.

لقد كتب "الجنرالات الليبراليون" أسماءهم بحروف من ذهب في سجل عظماء "الليبرالية" في العالم أجمع... حين نشروا الفرحة في قلوب جميع "الليبراليين" في كل أنحاء العالم "الليبرالي"... لتقام الاحتفالات في بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، والولايات المتحدة.... الخ. إنه يوم انتصار "الليبرالية" على "الاشتراكية" وتحطيم أسطورة الزعيم جمال عبد الناصر ؛ ذلك الزعيم الثائر المتمرد الذي تحدى بكبريائه وشموخه أسطورة استبداد وطغيان "الليبرالية".... ليرفع شعار الحرية والكرامة حق لكل شعوب العالم المستضعفة، ويقوم بإشعال أكبر حركة تحرير في تاريخ العالم الحديث في إفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية... حتى أصبح اسم الزعيم جمال عبد الناصر رمزًا للحرية والتحدي والصمود أمام الطغيان والظلم وحرية "الليبرالية" المطلقة في استعمار واستعباد الشعوب المتخلفة.

حتى جاء ذلك الزمان... الذي انقلبت فيه الموازين و القيم، وتداخلت الحقائق، واختلطت الأوراق ليتحول النظام الاشتراكي الناصري بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر إلى ساحة اتهام "الليبراليون" بالادعاء بأنه فشل في حماية الأمن القومي المصري. وجلب خزي وعار الهزيمة على الأمة المصرية، حتى اكتشفنا أن تلك "الكارثة القومية" لم تكن إلا الهدف العسكري الذي كلف بتحقيقه "الجنرالات الليبراليون" في حرب ٦٧، ليصنعوا منه وسيلة وأداة فاعلة لتغيير نظام الحكم ؛ لإعادة النظام "الليبرالي" الفاسد مرة أخرى... طالما نجحوا في إلصاق تلك الهزيمة المهينة بالنظام الناصري وبالزعيم جمال عبد الناصر.

الأهم والأخطر أن الكارثة القومية في ٦٧، تعدت أن تكون عنصر فاعل وأداة لتغيير نظام الحكم.... لتصبح أيضًا العنصر الفاعل والأداة لتغيير ثقافة الشعب المصري وهويته العربية.

بينما كانت "شلة المشير" مستمرة في تنفيذ مخططها الفاسد لتحقيق غايتها السياسية لإعادة النظام المصري إلى سابق عهده كنظام "ليبرالي" فاسد.. وبهذه الفلسفة المادية البراجماتية اللاأخلاقية... وبهذه العقيدة "الليبرالية" المنحطة وبهذا الفكر الليبرالي الفاسد واصل "الجنرالات الليبراليون" تقدمهم لتحقيق مهمتهم الأخيرة في الخطة، وهي: "الاستيلاء على حكم مصر"، لتحقيق الغاية السياسية في إعادة النظام الليبرالي مرة أخرى، وإعادة مصر داخل حظيرة المعسكر الغربي الأمريكي، الأمر الذي يتمشى مع سياق الأحداث.

٤- "الحرب النفسية" عنصر رئيسي من عناصر الحرب العسكرية التقليدية:

الهزيمة العسكرية في أحد المعارك ليست نهاية المطاف – مادام الشعب يملك مقومات الروح القتالية، فقد تعدو مجرد خسارة معركة تعطيه الدافع ليعيد الكرة، ليأخذ بثأره ويستعيد أرضه المغصوبة، أما الهزيمة على إطلاقها فتعني في مفهومها الكلاسيكي إنهاء الصراع بين قوتين متصارعتين، لتفرض القوة المنتصرة إرادتها على القوة المنهزمة، والفرق بينهما أن الأولى لم يفقد فيها الشعب روحه القتالية، وبالتالي لا يأبه للهزيمة ويعتبرها مجرد فقد لمعركة، لتظل روحه القتالية تدفعه إلى استمرار القتال، أما الثانية فقد تحطمت فيها روحه القتالية وأصبح في حالة إحباط، وبالتالي اقتنع بعدم جدوى الحرب أو المقاومة، وأنه لا مفر من الاستسلام لإرادة العدو. ومنها ظهرت فكرة الحرب النفسية والدعاية الصفراء التي يمكن أن تؤدي نفس نتيجة الحرب العسكرية، ويدور فيها الصراع ؛ ولكن بوسائل وطرق مختلفة.

ماذا لو أقنعت خصمك بأنه مهزوم لا محال، وأنه لا جدوى من دخوله في صراع معك؟

ومن هذه الزاوية كان التخطيط لتصبح هزيمة ٦٧ هي نهاية الصراع المصري الإسرائيلي، وأنه لا جدوى من استمرار هذا الصراع لتدخل الحرب النفسية والدعاية الصفراء ساحة المعركة بوسائلها وطرقها المختلفة.

٥- عودة حرب ٦٧ من جديد... لإسقاط النظام الاشتراكي الناصري:

اندلعت حرب ٦٧ من جديد... وعادت مصر مرة أخرى تتجرع أهوال وويلات الحرب، لينهزم جيشها هزيمة ساحقة مهينة... لم تحدث له في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧... الهزيمة بمعناها الكلاسيكي، حين يشعر المهزوم بعدم جدوى المقاومة، للاستسلام لإرادة العدو، عن اقتناع بعدم قدرته على مواصلة الحرب والمقاومة... وإشعار المصريين بأن هزيمة ٦٧ كانت هزيمة عن حق واستحقاق... وأن العدو الإسرائيلي كان جديرًا بهذا النصر الأسطوري... وأن الجيش المصري لم يكن كفؤًا ولا ندًا له ".

تحددت حرب ٦٧ الدعائية في صورة أشد ضراوة وقسوة من تلك الحرب التي اندلعت في ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ – لوللغرابة، بعد انتصار حرب ٧٣ مباشرة... فإذا كانت مصر قد عبرت هزيمة ٦٧، وحققت نصرها واستعادت ثقتها في نفسها وفي أبنائها المقاتلين خير أجناد الأرض، وفي جيشها الباسل، فكيف إذن، يمكن بعد ذلك إعادة كسرها، وإعادة إشعارها بالإحباط وكل أحاسيس الذل والعار لهزيمة لم تحدث، وأمر قد قضي وأصبح في ذمة التاريخ؟.

وكان "جنرالات" الحرب هذه المرة، من رجال الفكر والأدب والإعلام "الليبراليين"... كلهم إصرار وعزيمة على تحقيق هدفهم وغايتهم السياسية، التي لم ينجحوا في تحقيقها في سابقتها ٥ يونيو "حزيران"... وأن إرادتهم سوف تفرض هذه المرة بالقهر والقوة، لإسقاط ذلك النظام الاشتراكي الناصري، وإعادة النظام "الليبرالي" الفاسد مرة أخرى... إنها إرادة المنتصر حين يفرض إرادته بالقهر والقوة على المهزوم... سنة الحرب والحياة.

استمرت الحملة الإعلامية الضارية لتحقيق الهدف والغاية السياسية من هزيمة ٦٧ لسنوات طوال... حتى هوى في النهاية صرح النظام "الاشتراكي الناصري"، ليفرض بدلاً منه نظامهم "الليبرالي" الفاسد مرة أخرى بالقهر والقوة....

- **كتب أ. هيكل [٥]:**

« هناك سبب وهدف تثبيت حالة الهزيمة، وتعميق الشعور بها إلى النخاع، وإذا تم النجاح منه، فإن الأمة المهزومة، في أعماقها راضية، قابلة بأي حل تجود به سماحة الغالبين.

وإذا تم ذلك، فإن أصدقاء هؤلاء الغالبين وحلفاؤهم من الداخل العربي، تحلو لهم الأرض وما عليها - وهو ما حدث فعلا - فما كادت جيوش الحرب تتوقف

حتى بدأت جيوش النهب تزحف. ويتفاعل هذا كله مع بعضه، ومع الظروف، فإن الأمة بعده أسيرة لحالة من الإحباط واليأس، مغلوبة على أمرها، ولعله المطلوب».

انطلقت الحملة المسعورة تُشهّر بكفاءة الجيش، وأن هزيمة ٦٧ كانت عن استحقاق، واستمرت الحملة المسعورة لسنوات طويلة، منذ تحقيق نصر ٧٣ لما بعد اتفاقية السلام في ٧٨، واستمرت لما بعد وفاة "السادات"، وظهر ربط أسباب الهزيمة بنظام الحكم الناصري، وأن الهزيمة كانت الإفراز الطبيعي لهذا النظام الفاشل، بما يتضمنه من خطوط استراتيجية (الاشتراكية- القومية العربية- القضية الفلسطينية)، وبالتالي انتقل الهجوم إلى نقد الثلاث خطوط استراتيجية للنظام الناصري، التي يدّعون كذبًا بأنها تسببت في الهزيمة -- لإعادة النظر في صلاحيتها واختيار الخطوط البديلة، حتى تم تغيير هذه الخطوط الثلاثة لتنتقل من "الاشتراكية" إلى "الليبرالية"، ومن "القومية العربية" إلى "القومية المصرية"، ومن "القضية الفلسطينية" إلى "اتفاقية السلام"، الأمر الذي كشف عن سرائرهم ونواياهم بصورة واضحة لا لبس فيها، وأثبت بالحجة و البرهان الساطع عن دوافع وأهداف "الليبراليين" من حرب٦٧.

وقد يبرر بعض "الليبراليين" بأن المسألة مجرد استغلال لهزيمة ٦٧ في تغيير قناعة وفكر المصريين تجاه الخطوط الاستراتيجية الناصرية الثلاثة هو عملٌ وطنيٌ، وفقًا للمبدأ "الليبرالي" المقدس: "الغاية تبرر الوسيلة"، وذلك لتوحيد رأي المصريين خلف الرئيس "السادات" لتأييده في التغييرات التي قام بها، وهو ما تم فعلا حيث نجحت - هذه الحملة في إقناع حتى كبار المثقفين الوطنيين.. إلا أنه من جهة أخرى فإن التأثير السلبي الذي يُحدثه هذا الأمر – وهو تثبيت حالة الهزيمة وتأكيد أكذوبة قوة إسرائيل في نفوس المصريين – في الروح القتالية، وفي الانتماء الوطني، وفي الاعتزاز والفخر بالوطن، يجعله أمرًا مرفوضًا بصورة مطلقة، مثلما تفعل جميع دول العالم الحر.

- **يقول الأستاذ نجيب محفوظ [٦]:**

« كانت تلك مرحلة أصبنا فيها على المستوى السياسية بيأس شديد، وبخيبة أمل لم تكن متوقعة بأي حال من الأحوال، فقد كنا معتمدين على قوتنا، وعلى قوميتنا وعلى مذهب اشتراكي جعلنا على صداقة وثيقة بثاني أكبر أمم العالم، وكان ذلك يُشكل منظومة معرفية اهتزت بشدة بعد هزيمة ١٩٦٧، وظهر أن تلك الاقتناعات التي عشنا عليها سنوات لم تنفعنا حين وضعت في الاختبار،

وهكذا تغيّرت معرفتنا بهذه الاقتناعات الثلاث، حيث اتضح أن القوة التي كنا نتصوّر وجودها باعتبارنا أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط هي غير موجودة؛ وإيماننا بالقومية العربية لم تنجدنا في محنتنا. أما علاقتنا بالاتحاد السوفيتي فقد اكتشفنا أنه هو أيضا يهاب مثلنا.

لقد كانت تلك المرحلة مرحلة مراجعة لمعارفنا الأساسية، في ظل الحقائق التي تبدت أمامنا واضحة وضوحا مخيفا، وقد بدأ يحل عندي بعد ذلك محل القومية بمفهومها الرومانسي، التابع للقرن التاسع عشر مفهومٌ آخر حديث، أكثر عملية وبراجماتية، يعتمد على تحقيق المصالح المشتركة بين الأقطار العربية، متخذة من رباط اللغة المشتركة والثقافة والدين وسيلة فعالة لتحقيق ذلك.

والقوة التي تهاوت أوهامها أمامنا جعلتني أؤمن أكثر بالسلام كوسيلة أكيدة لتحقيق التقدم والرخاء، أما "الاشتراكية" فقد أصبحت أؤمن منذ ذلك الوقت، وقبل أن يسقط الاتحاد السوفيتي بأن أي طريق يؤدي إلى العدالة الاجتماعية هو طريق مقبول، حتى وإن جاء من الرأسماليين. ففي الكثير من الدول الرأسمالية يوجد من الخدمات العامة ما عجزت عن تقديمه بعض النظم "الاشتراكية».

٦ ـ خطة القيادة العليا في الحرب النفسية:

كشفت الأحداث عن مخطط متكامل لإيقاع الهزيمة النفسية بالشعب المصري، بهدف دفعه لقبول اتفاقية استسلام للعدو الصهيوني، وذلك بإحداث حالة إحباط شديدة، يفقد فيها الثقة في قدرة الجيش على تحقيق النصر، وبالتالي اقتناعه بعدم جدوى استمرار الحرب مع إسرائيل، وظهرت أحداث هذا المخطط في صورة لا تقل عن أحداث المعارك الحربية تراجيديا.. حيث تستطيع طرق ووسائل الحرب النفسية تحقيق ما لم تستطع مدرعات وطائرات العدو وأسلحته المختلفة تحقيقه.

بدايةً... من أين نستلهم أفكار وخطط الحرب النفسية؟...

تستلهم هذه الخطط من الحياة العامة، ومنها ما قد تبلور بعد الدراسة والتمحيص إلى علم له أسس ومبادئ.

تعالى إلى الحياة العامة.. لنرى أبًا يأمل في أبنه المستقبل الباهر في التعليم وأن يصبح طبيبًا ناجحًا، ويبذل الأب كل ما في وسعه وكل ما يدخر من مال وجهد لتحقيق هذا الأمل، فأرسل ابنه إلى أحسن المدارس واستدعى إلى منزله أحسن

المدرسين الخصوصيين لمتابعة دراسة الابن. وقام الابن البار بوالده بكل ما يستطيع لتحصيل الدروس والمذاكرة.. ورأى الأب من ابنه الاهتمام والمجهود الجبار من سهر الليالي والانكباب على المذاكرة، حتى إذا كان الامتحان، وظهرت النتيجة كانت مفاجأة للأب، فقد رسب الابن رسوبًا رهيبًا بحصوله على نسبة صفر٪.

تُرى كيف تكون حالة الأب النفسية تجاه أمله المنشود، وفي استمرار الابن في صراعه مع التعليم؟

تلك الفكرة، كانت هي نفسها أساس الفكرة الفلسفية لخطة "الحرب النفسية"، التي وضعتها القيادة العليا- "شلة المشير" – لإيقاع الهزيمة النفسية بالشعب المصري، بهدف إحداث حالة إحباط، لإقناعه بعدم جدوى استمرار الصراع المسلح مع إسرائيل... طالما أن الجيش بالنسبة للشعب هو بالضبط في منزلة الإبن لهذا الأب، ذلك أن الجيش الوطني يمثل لأي شعب رمزًا من رموز الوطن، تتجسّد فيه كل معاني الفخر والكبرياء، إنه رمز العزة...والإرادة.. والحرية.

فإذا استطعنا إظهار أن الأمة المصرية قدمت كل ما تستطيع من جهد ومال في سبيل رفع كفاءة الجيش، ثم غرسنا في نفوس الجمهور المصري، كيف كان هذا الحجم المهول من تدريب ومجهود وأموال بذلت على هذا الجيش الذي أصبح قوة يُعتد بها، ثم إذا ما كانت الحرب وظهرت الهزيمة كمفاجأة لا يمكن توقعها، هزيمة ساحقة ماحقة مهينة... هنا لا تصبح الهزيمة مجرد خسارة معركة، ولكنها تصنع حالة إحباط وفقدان الثقة والأمل في هذا الجيش الذي أخذ كل فرصته ولم تدخر معه الأمة وسعها من مال وجهد، وإذا به يفشل هذا الفشل الذريع، الذي ليس له أي مبرر أو سبب.

ويفقد الأمة المصرية ثقتها وأملها في جيشها، الذي هو العنصر الأساسي في الصراع المسلح، تفقد بالتالي الأمل في النصر، وتقبل الهزيمة كأمر واقع لا مفر ولا محيص عنه، بل وتحاول أن تخرج نفسها من قضية الصراع مع إسرائيل، باعتبار أن الحكمة منتهى الحكمة في التخلص من الاستمرار فى صراع ليس لنا طاقة ولا قدرة عليه.

ويظهر هدف آخر يأتي كنتيجة لانعكاس حالة الإحباط على نظام الحكم، الذي تسببت سياساته في هذه الهزيمة، وهو فقدان الثقة في النظام برمته وبكل مشتملاته بعد أن فشل في تأمين البلاد والمحافظة على حدودها، حتى تجرأ عليها أبناء القردة والخنازير، يدنسون أرضها ويفرضون إرادتهم عليها.

ونلخص الفكرة في أنها تتمحور في: أن الحدث المفاجئ الغير متوقع يصنعه الموقف نفسه من واقع أحداث الحرب عند رسم صورتين شديدتي التباين والتناقض للجيش المصري: الأولى الغاية في القوة والجبروت، مع جذب انتباه الجمهور المصري بأحداث مثيرة عند اندلاع الحرب، بصناعة معارك وهمية وانتصارات وبطولات غاية في الإبهار؛ لإلهاب حماس الجماهير وإشعال الروح القومية ؛ حتى يأتي خبر الهزيمة المفاجئ كالصاعقة، نفس فكرة: " الابن المجتهد طوال العام، ثم الرسوب المهين الغير متوقع في الامتحان ". وبذلك تحددت العناصر الأساسية للخطة في تحديد ملامح الصورتين للجيش المصري الأولى قبل الحرب: "القوة والجبروت"، والثانية بعد الحرب: "الهزيمة الشنعاء".

أ - صورة الجيش المصري قبل الحرب " القوة والجبروت ":

حددت ملامحها الحملة الإعلامية، التي أشرف عليها "ابن بدران" في جميع وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون وصحف ومجلات ونشرات وأحاديث مع "الجنرالات" عن الاستعدادات العسكرية الجبارة للقوات المصرية في "سيناء"، وقد تصدرت أحاديث الفريق أ. مرتجي النارية والملتهبة بالحماس والوطنية، باعتباره قائد قوات الجبهة أمام إسرائيل وقائد القوات البرية.

- **كتب الفريق "الحديدي" عن أحاديث الفريق أ. مرتجى [1] :**

« .. ونشرت هذه البيانات على صفحات الجرائد، وأذيعت على العالم من محطات الإذاعة المصرية، كما نشرت المجلات كثيرًا من المؤتمرات الصحفية والأحاديث الخاصة تأكيدًا لمسئولية القيادة الجديدة عن جبهة قتال إسرائيل».

لم يقتصر الأمر على وسائل الإعلام، ولكن تم التخطيط أيضا لعرض القوات المصرية في شوارع القاهرة، ليراها الشعب المصري وهي في طريقها إلى "سيناء"، شباب كلهم فتوة وحماس للمعركة، مع عرض كل أنواع الأسلحة من دبابات ومدفعية بأعيرتها المختلفة، كذلك باقي أنواع الأسلحة والعتاد الأخرى.

- **كتب الفريق الحديدي [2] :**

« لابد لي أن أنوّه بأنه كان من الغريب حقًا أن تسلك هذه التحركات الضخمة في بدايتها من المنطقة المركزية شوارع رئيسية في العاصمة – "القاهرة" – مارة بأكثر الميادين ازدحامًا بالمرور المدني العادي، رغم وجود طريقين رئيسيين خارج

المدينة الكبيرة، يمر أحدهما بالغرب من جبل المقطم (طريق صلاح سالم) والآخر موازيًا للنيل "طريق الكورنيش". بل قد لا أكون مبالغًا إن قلت إن فكرة إنشاء الطريقين نشأت أساسًا لتسهيل التحركات العسكرية، وقد كان لي فرصة مناقشة أسباب اختيار قلب العاصمة لتمر فيها عشرات الآلاف من العربات والدبابات والمدافع وتحت شرفات أكبر السفارات الأجنبية في القاهرة، الصديق منها وغير الصديق، فأفهمت يومها أن هذا القرار لم يأت عفوًا بل له أهداف قد يُحققها هذا الاختيار الذي يعرض أمام الملأ عضلات القوات المسلحة».

حشر المارشال "الحديدي" "السفارات الأجنبية" في سياق الموضوع، وذلك لتغيير مسار القضية العسكرية إلى مسار سياسي، لتضليلنا عن المضمون والهدف الحقيقي... طالما أنه دفع بفكرنا إلى السياسة الخارجية والسفارات الأجنبية... رغم عدم وجود أي سفارات على الشوارع والميادين المزدحمة، التي تكلم عنها في مسار تحرك القوات المصرية بصورة مطلقة، الأمر الذي يفرض أن الاستعراض لم يستهدف سوى جمهور الشعب المصري بمفرده.

... وطالما أنك اعترفت... عزيزي المارشال الهمام – بأنه أتيحت لك فرصة مناقشة هذا الأمر، فلماذا لم تكشف لنا عما هية هذه المناقشة؟... وكيف دارت؟.... ومن كان معك في هذا المؤتمر؟.... ولماذا تبني كل الأعمال المخربة والفاسدة للمجهول وإخفاء شخصيات أصحابها؟!.

وكيف تعد كل أعمال الفساد من أسرار الدولة العليا، التي لم يأت الأوان بعد لإعلانها؟... أم أنك تهدف إلى استدرارعطفنا وشفقتنا على ضعفك، وأن نرثو لحالك وحال جميع المناقشات التي دارت بين مارشالات الجيش أمثالك، فإذا كان هذا القرار لم يأت عفوًا – كما تقول – وأن هناك أهداف وراء هذا الاختيار، إذن هل هي أهداف سرية لا يجوز لك عزيزي المارشال الهمام معرفتها ومناقشتها؟... وما هي حدودك في مناقشة موضوع لا يزيد عن مجرد اختيار طريق مسار تحرك القوات إلى "سيناء"؟!

ثم دخلت الحملة الإعلامية في تصاعدها بالبلاغات العسكرية مع بدء الحرب عن معارك جوية وهمية شرسة بين طائراتنا وطائرات العدو الإسرائيلي، حقق فيها نسور الجو المصريين انتصارات باهرة، ثم زاد معدل الانتصارات ؛ حتى وصلت إلى انتصارات مذهلة، دمرنا فيها أعدادًا مهولة من طائرات إسرائيل، في الوقت الذي

كانت كل قواتنا الجوية دُمرّت تمامًا في الساعات الأولى من الحرب!! إذ يقول الفريق أ. محمد فوزي [٣] في شهادته:

« هناك بلاغات تصدر من القيادة العامة لا إلى جبهة سيناء، ولكن إلى الإذاعة والصحافة عن طريق "علي شفيق" و"شمس بدران"، كذا طيّارة ضربناها... كذا.. مش عارف إيه.. يعني الحاجات اللي واخدة صفة الشئون العامة التي كانت متصرفة مع الدولة في ناحية الإذاعة والبلاغات».

واستمرت البيانات العسكرية تصدر بصورة مبالغ فيها.. مئات الطائرات الإسرائيلية تتهاوى واشتباكات عنيفة برية، حتى إذا ما التفّت جماهير الشعب المصري حول المذياع يتابعون انتصارات أبنائهم وإخوانهم على العدو الإسرائيلي، وحتى إذا ما وصلت الجماهير إلى ذروة النشوة والفرحة بالنصر والتهبت الروح الوطنية ؛ أعلنت الحقيقة عارية وبصورة مفاجئة لتصبح الهزيمة فجيعة مدمرة لكل معنويات المصريين.

ب – صورة الجيش المصري بعد الهزيمة المفجعة:

- **كتب الفريق الحديدي [٤]:**

« هكذا سار الانسحاب، وكان هدفه القاهرة، واستمر أيامًا حتى بعد قرار إيقاف إطلاق النيران، واكتظت شوارع العاصمة بالجنود والمركبات، ونظر شعب مصر مشدوهاً إلى الحال الذي وصلت إليه قواته المسلحة، وتساءل عما أوقعنا في هذه الهاوية السحيقة، وتوزعت عواطفه بين الألم لما حاق به من هزيمة وضياع، وبين الأمل في تدارك الموقف ورد الاعتبار، وتذكر بمرارة ما كان يقرأه في الصحف عن مدى القوة التي بلغتها قواتنا المسلحة، وبدأ يشعر أنه وقع فريسة لخدعة كبرى، وإلا فأين الصواريخ التي رآها بعينيه؟ أين القاهر والظافر؟ أين قواتنا الجوية التي كثيرًا ما سمع عن طريق مختلف وسائل الإعلام أنها أكبر وأقدر قوة ضاربة في الشرق الأوسط؟ وماذا فعلت الأسلحة السوفيتية في الدفاع عن الوطن.. الخ».

كشف لنا المارشال "الحديدي" في صورة اعتراف، أو أشبه بالوثيقة الرسمية تثبت التخطيط الذي تم لإحداث الصدمة والإحباط في نفوس الشعب المصري، لإفقاده الثقة في حكومة عبد الناصر، وذلك من خلال إخفائهم العلة أو السبب

الحقيقي في الهزيمة.... التي هي بفعل "جنرالات" الجيش المصري "الليبراليون"، وليس بفعل الجيش الإسرائيلي [وقد ذكر المارشال "الحديدي" صراحة في مذكراته عن ضرورة إخفائهم أسرار أحداث الحرب العسكرية باعتبارها من أسرار الدولة العليا، وعدم نشرها إلا بعد أن تفقد أهميتها] – وهو الأمر الذي أتاح لهم "الإيحاء" للشعب المصري بأنه وقع فريسة لخدعة كبرى، والشك في مصداقية كل ما كان يقرأ عنه في الصحف عن قوة الجيش... وبالتالي "الإيحاء" بهزيمة لم يحدث في الحقيقة... وهو الأمر الذي يفقد ثقة الشعب المصري في النظام الناصري.

ومع ذلك، ورغم إحكام التخطيط ودقة تنفيذ مخطط الحرب النفسية، إلا أنهم فشلوا في كسر كبرياء و شموخ المصريين، لأن المسألة لها ارتباط باستمرار تثبيت حالة الهزيمة والإحباط في نفوس المصريين، فطالما لم يتم تثبيت وتأكيد حالة الإحباط والهزيمة، بمواصلة تجريح وتشويه صورة الجيش المصري والتشهير به لفترة طويلة من الزمن ؛ فإن الشعب يمكنه أن يستعيد ثقته مرة أخرى في كفاءة أبنائه المقاتلين خير أجناد الأرض وفي قوة جيشه، وهو ما تم بمجرد أن نجح الزعيم جمال عبد الناصر في السيطرة على الأمور، وبعد أن تكشفت للرأي العام بعض الحقائق بتسرب أسرار فضيحة الحفل الساهر بقيادة القوات الجوية ليلة الحرب، ثم فضائح هروب "الجنرالات الليبراليون" من ميدان القتال، ثم فضائح الفساد التي كان يمارسها "الجنرالات الليبراليون" فيما عرف بمراكز القوى وضباط مكتب المشير، أما حينما حاول بعض الكتاب "الليبراليون" أن ينالوا من سمعة الجيش المصرى، ويتكلموا في حق المقاتلين الشرفاء – تحت ستار حرية الرأي والنقد البناء – فما كان من الزعيم جمال عبد الناصر إلا أن منع وسائل الإعلام من الحديث نهائيًا عن حرب ٦٧ ؛ ليطوي صفحة من التاريخ، يزيح بها كل ما يجرح مشاعر وكرامة المصريين الوطنيين، وأخذ الزعيم جمال عبد الناصر يلهب روح الوطنية والحماس للأخذ بالثأر واسترداد أرض "سيناء"، ليُسجّل التاريخ عباراته: " ماأُخذ بالقوة لا يُسترد بغير القوة "، " لا صوت يعلو على صوت المعركة "، وظل زعيم الأمة يُسعّر نار الغضب في صدور المصريين ؛ حتى إذا مات وجاء من بعده الرئيس "السادات"، لم يستطع إطفاء نار الغضب المتأججة والتي دفعت به لهيبها إلى العبور بالجيش المصري وتحقيق النصر في ٦ أكتوبر٧٣.

٧ ـ أسلوب ارتكاب الجريمة يكشف عن شخصية الفاعل:

في حرب الخليج الثانية، استخدمت أمريكا نفس تكتيك الحرب النفسية لحرب ٦٧ الدعائية، فعلى الرغم من علمنا يقينا بتدمير قوة الجيش العراقي في حرب الخليج الأولى وما تبعه من حصار اقتصادي وعسكري استمر لعشر سنوات، الأمر الذي لم يسمح للعراق باستعواض المقومات الأساسية للدولة، فضلاً عن العناصر الأساسية لقواته المسلحة من خسائر الحرب الأولى، حتى أنه لم يجد ثمن الدواء لشعبه.

لكن كيف استطاعت أمريكا بفضل السيطرة الإعلامية وقوتها الدعائية أن تصنع من العراق قوة جبارة؟... جيشًا بلا حدود، وقوات حرس جمهوري لا تقهر، وأسلحة تدمير شامل، وما أدراك ما أسلحة التدمير الشامل، كل هذا من خلال ندوات، لقاءات، تحليلات من المسئولين الاستراتيجيين من كل دول العالم، ثم ساعدها أيضا شخصية وزير الإعلام العراقي الجنرال "الصحّاف" وطريقته المميزة في إلقاء البيانات العسكرية النارية، وأسلوبه المُشوّق الذي استحوذ على لب وإعجاب كل من شاهده عبر شاشات التليفزيون، وبالرغم من أن الشواهد كانت تؤكّد للرأي العام ضعف صدام حسين، وعدم تحديه لأمريكا، أو قبوله الحرب معها، وذلك عندما قبل تفتيش قصوره الجمهورية، ثم وافق على فك صواريخه الاستراتيجية، ثم وصل به الحال إلى تقديم أسماء علماء العراق إليها.

إلا أن جبروت الإعلام الأمريكي من خلال قناة الجزيرة، قلب الحقائق ليقنع العالم العربي بقوته الجبارة، حيث قام الجنرال "الصحاف" في العراق بنفس دور "ابن بدران"، ليعلن نفس مضمون البيانات العسكرية النارية والملتهبة حماسًا ووطنية، حتى إذا ما تأكدت أمريكا من أن الشعوب العربية كلها قلبًا وقالبا، جلست خلف قناة الجزيرة أو القنوات الأخرى أو الإذاعة، تتابع أحداث حرب العراق، وحتى إذا ما وصل بهم الجنرال "الصحاف" لقمة النشوة، كان إعلان نبأ الهزيمة الساحقة، والغير متوقعة للأمة العربية بأكملها، بمثابة صدمة نفسية حققت حالة الإحباط وفقد الأمل في استمرار الصراع مع الإمبراطورية الأمريكية الجبارة الغاشمة.

٨ ـ محاولة القيام بقلب نظام الحكم:

كانت " شلة المشير" تنتظر نهاية المعركة، حتى يقوموا بالانقلاب العسكري والاستيلاء على الحكم، وكان في المعسكر المقابل الزعيم جمال عبد الناصر ومجموعته في قلق شديد على الأوضاع التي تتداعى.

- كتب صلاح نصر مدير المخابرات وأحد أقطاب " شلة المشير" الذي زار الرئيس جمال عبد الناصر في مكتبه في ذلك الوقت [٧]:

« كان عبد الناصر يذرع الحجرة كالطير الجريح، الحبيس في القفص».

- وكتب الفريق الحديدي [٨]:

« وقد زاد من القلق والتوتر السائدين، تلك الفوضى التي كانت عليها عناصر من بعض وحدات عادت من الجبهة إلى القاهرة، ولم يكن معروفًا على وجه التحديد أسباب عودتها المبكرة، ولم أخطر(*) بذلك مسبقًا على أساس أنها ستوضع تحت القيادة عند وصولها للعاصمة. وقد اختارت إحدى الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات، إحدى دور الضيافة - "قصر الطاهرة" - لتعسكر في حدائقه، مما أزعج المسئولين عن القصور التابعة لرئاسة الجمهورية، وقادهم الشك إلى التفكير في احتمالات كبيرة لهذه المصادفة».

وهي شكوك في محلها... لأن اقتحام وحدة مدرعة واحتلالها قصر الطاهرة الجمهوري من المستحيل أن يخضع للمصادفة - كما يدعي "الحديدي" - وإنما يخضع للسياق المنطقي لتسلسل الأحداث، والتي يستطيع أن يتنبأ بها رجل سياسة يعيش في خِضَم الصراع والأحداث ومعه رجال يساعدونه في تحليل الأحداث وكيف يمكن تلافي أضرارها.

- أمر آخر ذكره شمس بدران في التحقيق [٩]:

« أنه بعد أن أصدر المشير قرارًا بالانسحاب - القرار الثاني يوم ٦٧/٦/٨ - استنتجت أنه يريد أن ينتحر، بعد أن رأى الموقف العسكري بهذه الصورة مثل قادة التاريخ هانيبال وغيرهم، واتصلت بالرئيس عبد الناصر في منزله، ولم أشأ أن أخبره بأن المشير يريد أن ينتحر، وطلبت منه أن يحضر إلى القيادة، لأن الموقف يتطلب ذلك، وقال: "أنا آجي ليه؟ العملية عملية عبد الحكيم، وهو واخد المسألة كلها، لكن الرئيس عبد الناصر حضر عندما أبلغته خوفي من انتحار المشير».

الملاحظ أنه عندما رفض "الزعيم" طلب "ابن بدران" بالحضور، ذكر له سبب آخر وهو: " خوفه من انتحار المشير"، في الوقت الذي لم يذكر فيه الأدلة والشواهد

(*) كان الفريق صلاح الدين الحديدي في حرب ٦٧ قائدًا للمنطقة العسكرية المركزية..

التي استند عليها وجعلته يستنتج نيّة المشير للانتحار!! الأمر الذي يؤكّد الشكوك في أن هناك أمر ما دبّره "ابن بدران"، وهو ما دفعه للإلحاح على حضور"الزعيم" لمقر القيادة العامة.

أُجبر "عبد الناصر" على سرعة التصرف لإزالة الشكوك.. لأن الحزم في هذه الأمور واجبة.. فجمع "عبد الناصر" شتات عقله على أمر ما!!... هل كانت فكرته؟!... جائـزة!!... هل كانت فكرة أشار بها أحد خلصائه؟!... جائزة!!... وعلى كل، لم يكن له خيار سوى تنفيذها.

توجّه "الزعيم" إلى مكتب المشير بالمقر العام، ليجتمع مع "ابن بدران" والمشير عامر معا الثلاثة، وعرض أن يتركا الحكم هو والمشير عامر سويا، على أن يخلفهما في الحكم "ابن بدران"[١٠]، ووافق الثلاثة على ذلك، على أن يتم إعلان الزعيم جمال عبد الناصر لهذا القرار في خطاب يوجهه إلى الأمة المصرية في اليوم التالي.

واتفقوا أيضًا على أن يُقدم "الجنرالات" استقالاتهم وكذلك "شمس بدران" الذي بادر بتقديم استقالته للزعيم جمال عبد الناصر في نفس الجلسة.. نعم.. لم يكن يجدي مع "شمس بدران" سوى التعامل معه بنفس السلاح الذي يتقنه.. سلاح المكر والخديعة، وبالرغم أنه أستاذ في المكر والخداع، فقد خُدع!!

والتقط " شمس بدران" الطعم، ورأى أن بحصوله على حكم مصر من الطريق الشرعي القانوني، يُوفّر عليه مشقة الانقلاب العسكري، و هو ما دفعه للمبادرة بتقديم استقالته و قيامه بإقناع قادة الأفرع الرئيسية بالجيش على تقديمها، وذلك حتى يمكن إنجاح الاتفاق المبرم لوصوله للحكم، و ذلك تحت مبرر أن الشكل الطبيعي لأي جيش مهزوم أن يقدم كبار قادته استقالاتهم.

لم يكن هناك تصوّر لاهتزاز سلطة " شلة المشير" على الجيش حتى مع تقديم استقالاتهم، فالهيكل التنظيمي الذي بناه " شمس بدران" بكامله موجود، وشبكة خلايا أهل الولاء كما هي، وكذلك كل القادة شديدي الاخلاص " لشلة المشير" مع اعتبار الخصلة الجوهرية للولاء لأعضاء التنظيم " شلة المشير"- وليست للمناصب.. فما زال "شمس بدران" على قناعة بسلطانه على الجيش الطائفي، رغم استقالته وبأن الجيش رهن إشارة من إصبعه.

ألا ترى أن ذهاب الزعيم جمال عبد الناصر إلى مقر "القيادة العليا" وهو مقر "شلة المشير" في هذا الجو المضطرب والملبّد بالشكوك فيها مخاطرة على حياته؟..

وهل ترى أنه تم التمهيد لهذه الزيارة بأسلوب المكر والدهاء من رجال عبد الناصر المخلصين، بإبلاغ "ابن بدران" بعزم "عبد الناصر" على التنازل عن الحكم له؟.... أم أنها الشجاعة في مواجهة المواقف؟... أم أنه القدر؟....

نعم... قلبت مبادرة "عبد الناصر" خطط " شمس بدران" وغيّرت خطة حصوله على الحكم، فأصبحت سلمية بدلا من استخدام القوة العسكرية، وتبعًا لذلك تم تأجيل ميعاد التخلص من المشير عامر - التي كان مخطط لها مساء يوم ٦٧/٦/٨ في نفس توقيت زيارة الزعيم جمال عبد الناصر لمقر "القيادة العليا" - خوفًا أن يؤخّر انتحار المشير أو قتله إجراءات جلوسه على كرسي الحكم.

أعلن الزعيم جمال عبد الناصر في خطابه مساء يوم ٦٧/٦/٩ التنحي عن رئاسة الجمهورية وترشيح السيد زكريا محي الدين خلفًا له – بدلاً من إعلانه تعيين "شمس بدران" رئيسًا مؤقتًا للجمهورية حسب الاتفاق المنوه عنه- وما هي إلا لحظات من انتهائه من الخطاب.. حتى طاشت العقول وهاج وجدان الشعب، وأجهش بالبكاء.. وإذا بالشعب المصري كله على قلب رجل واحد.. يصرخ من أعماقه.. ناصر.. وتحركت الجماهير.. طوفان من البشر إلى منزل زعيم الأمة.. لتعلن أنه جزء من كيانها.. وأنه أكبر من الهزيمة.. وأنها لن تتخلى عنه.. فقد كانت مصر هي قلب عبد الناصر.. وقد جُرح عبد الناصر في صميم مصر، كتب أ.هيكل [١١]:"

«من نظرة واحدة عبر النافذة إلي كوبري الجلاء، فقد أصبحت الجماهير عليه كتلة واحدة متدفقة هادرة زاحفة لا تعرف إلى أين. ولكن صراخها كان يمكن تمييزه الآن بصيحة " ناصر"».

- **كتب الفريق الحديدي [١٢]:**

« وإن كان تنحي الرئيس جمال عبد الناصر قد أصاب الشعب في كبريائه، فقد أصاب رجال القوات المسلحة في مقتل رجولتهم وشرف جنديتهم، الأمر الذي شعرنا به ونحن ملتفون حول أجهزة الراديو والتليفزيون في مقر قيادتنا نستمع إلى الخطاب، وما أن وصل الرئيس إلى الفقرة التي أعلن فيها تنحيه عن قيادة الوطن، وتوجيه أموره في المرحلة القادمة، حتى فقدنا السيطرة على أنفسنا وذهبت مقاومتنا لما كبتناه من شعور بالمرارة والألم طيلة الخمسة أيام الماضية، واختلطت مشاعرنا بأصواتنا متناسين فوارق الرتب العسكرية أو حتى فوارق سنوات العمر، التي تفصل بين الملتفين حول أجهزة الإعلام في الحجرات المتجاورة».

جَسّد الشعب المصري إخلاصه للوطن، وكل معاني الوفاء والصدق في تعبيره عن تمسكه بزعيم الأمة "جمال عبد الناصر" لتتكشف في كافة أفراد الجيش روح الوطنية الصادقة – كجزء من الأمة المصرية – حين التحم الجزء بالكل...ليتوحَّد شطري الأمة: "الجيش و الشعب" خلف راية واحدة... راية الوطن... راية الزعيم جمال عبد الناصر.

نعم... لقد صنع خطاب التنحي عاملاً فاعلاً قلب كل موازين "الليبراليين" رأسًا على عقب، حين ظهر الموقف في صورة شديدة الدرامية، تتمثل في خذلان الجيش المصري لزعيمه، حتى جسَّدت كلماته وهي تحمل كل معاني الإباء والعزة والكرامة رسالة موجهة إليهم تقول: "إن عبد الناصر لم يقبل نتيجة الحرب، وأن رجاله خذلوه.. وأن عليه الرحيل". أو كأنه فارس انطلق مع جنوده في ساحة القتال، حتى إذا ما التحم بالأعداء فإذا بهم يتركوه بمفرده.. غدرًا وخيانة.. فأحاط به الأعداء من كل جانب رميًا بالرماح وطعنًا بالسيوف والخناجر.. حتى عاد على جواده مهزومًا كسيرًا.. وكل جسده مثخن بالجراح.

ظهر خطاب التنحي كرسالة استجدى فيها "زعيم الأمة" العزيز الجبار، ليسترد منه ولايته ومسئولياته عن الأمة المصرية، ورفع "الزعيم" يديه إلى السماء وصوته يئن من الألم.. خذلني قادة جيشي.. وتعاونوا مع أعدائي.. وضيّعوا رجالي.. وها هي جيوش الأعداء تحيط بأمتك من كل جانب.. ماذا أفعل؟!...ها هي جحافل الصهاينة.. بكل طائراتها ومدرعاتها.. وعتادها.. ولا أملك أنا وشعبي من أمرنا إلا قوة الإيمان بأن الموت في سبيلك هو غاية الرجال.. لعل أجسادنا.. ودماءنا، تصنع سدًا يحمي أرض الكنانة.. أرضك يا مصر.

حرّك خطاب عبد الناصر في الشعب المصري بكل طوائفه، دوافع قيم المثل العليا، والمبادئ والواجب نحو الوطن، في صورة الولاء لزعيم الأمة جمال عبد الناصر.. وكما يقول الحديدي.. " إذا كان تنحي الزعيم جمال عبد الناصر أصاب الشعب في كبريائه، فقد أصاب رجال الجيش في مقتل رجولتهم، وشرف جنديتهم... لقد أعاد صوت الزعيم جمال عبد الناصر للجنود والضباط العائدين من ميدان الغدر والخيانة صوابهم، ليعقدوا في قلوبهم الإصرار على الإخلاص والولاء لزعيم الأمة.. فأخرجوه من برائن الشبكة التي نصبت فوقه "شبكة خلايا أهل الولاء "، ورفعوه فوق الولاء، وفوق الزعامة.

وفي الوقت الذي تحركت فيه جماهير الشعب إلى منزل زعيم الأمة جمال عبد الناصر، تحرك أيضا " ابن بدران" بعد اكتشافه خداع "عبد الناصر" له وترشيح آخر لرئاسة الجمهورية بدلاً منه، في خطاب التنحي وهو: زكريا محى الدين، وبدأ يعمل في اتجاه استخدام القوة العسكرية للوصول لأهدافه.

تحرك "ابن بدران" بنفس أسلوبه قبل الكارثة، استنادًا على سيطرته المطلقة على قادة وضباط الجيش من خلال "شبكة الولاء"، ولم يكن اكتشف أن الكارثة أحدثت تغييرات في قناعة القادة والضباط فيمن يستحق الولاء الذي تحوّل تلقائيًا، ليتربع على قمته الزعيم جمال عبد الناصر؛ إلا حينما تمخضت كل قدراته على تجميع ما لا يزيد عن ٥٠ ضابط في مبنى القيادة العامة للتظاهر والهتاف لعودة المشير عامر، ما برحوا أن انفضوا هاربين بمجرد أن أمرهم الفريق أ. محمد فوزي بالانصراف، تُرى ماذا لو كان قادة و ضباط الجيش على ولائهم السابق، قبل أن يخذلوه في حرب ٦٧؟

- **كتب الفريق أ. محمد فوزي [١٣]:**

« في يوم ٦٧/٦/١١ في الساعة ٩ صباحًا حدث تجمهر غريب غير متوقع من بعض ألوية وعمداء وعقداء القوات البرية، وجميعهم من يُقال عنهم " مُقرّبون "، كان عددهم يزيد عن خمسين ضابط تجمعوا في البهو الداخلي لمقر القيادة بمدينة نصر، مطالبين "بضرورة حضور المشير للقيادة" وممارسته للسلطة " وكان الكلمات تتناثر من أفواههم " لا قائد إلا المشير " أين المشير؟ وقد علمت من اللواء عبد الرحمن فهمي أقدم الضباط المتجمهرين أن المشير قد وعدهم بالحضور إلى القيادة، عندما ألحوا عليه في مساء اليوم السابق، واجهت هذا الجمع من الضباط بمفردي في البهو، مذكرًا إياهم بصوت عال وبحدة أن هذا التجمهر ضار بهم، وأنه لا توجد لدي أي معلومات عن حضور المشير إلى القيادة، وأضفت أن المشير موجود بمنزله بالجيزة، ثم أمرتهم بالانصراف فورًا».

كذلك لم يتمكّن "شمس بدران" من تجميع سوى سريتين شرطة عسكرية فقط مع عدد من الضباط المحالين للمعاش، حيث رابطوا بمنزل "المشيرعامر" بالجيزة بأسلحتهم وذخائرهم، واستمر "شمس بدران " في محاولاته لإقناع بعض القادة – ذوي الولاء السابق – بالتحرك معه للقيام بانقلاب عسكري والاستيلاء على الحكم، حيث خذله جميع القادة و الضباط.

وكانت الخطة التي حوكم عليها "شمس بدران" [١٣] مع مجموعة من الضباط اعتمدت على تحريك فرقة مدرعة من دهشور(*) تحت مظلة من الطائرات مع فرقة أخرى لتأمين القاهرة، بالتعاون مع الشرطة العسكرية، وقد وضعت جميع التفصيلات وتم الاتصال بجميع الضباط والقادة اللازمين للعملية، ولكن هيهات، فقد تغيّرت الأحوال وضاع الولاء من "شلة المشير"، ووقف شمس بدران بمفرده لا يجد أي قائد أو وحدة عسكرية يشترك معه في هذه العملية، وعلى الرغم من انكشاف الأمور، بأن عملية قلب نظام الحكم قد فشلت من الناحية الموضوعية برفض اشتراك قادة الوحدات العسكرية، فإن " ابن بدران " ومعه مجموعة صغيرة استمروا في عنادهم ومحاولاتهم، في الوقت الذي سلّم فيه باقي كبار القادة من " شلة المشير " بالأمر الواقع، والتسليم بأن الأمور قد آلت إلى الزعيم جمال عبد الناصر، وهو ما وضح من موقف الفريق أ.: صدقي محمود (قائد الطيران) ـ ضمن باقي أعضاء " شلة المشير" الذين رفضوا الاستمرار في العناد والمكابرة ـ عندما أرسل إليه "شمس بدران" لاستدعائه من منزله فأعلنت زوجته: رفضه الاشتراك معهم.

وقد ذكرت القصة في المحكمة [١٤] عند استجواب العقيد محمود طنطاوي رئيس حراسة المشير، الذي أرسله إليه في منزله، فلم يقابل سوى زوجته التي أعلنت رفضه، والحقيقة أنه مادام الرفض جاء على لسان زوجته، دون التأكّد من وجوده فإن الموقف يُحسب في ميزان المرأة المصرية " عقلاً، وفكرًا، ووطنية ".

وبعد أن تيقّن عبد الناصر من ضعف نفوذهم وفقدهم للسيطرة على وحدات القوات المسلحة، قام باستدعاء المشير عامر إلى منزله بروكسي لمقابلته مساء يوم ٦٧/٨/٢٦ في أثناء ذلك أمر بمهاجمة منزل المشير والقبض على كل من فيه، بما فيهم " شمس بدران" وتم محاكمتهم (*)، وتحديد إقامة المشير عامر بمنزله بالجيزة، ثم تم نقله بعد ذلك إلى استراحة بالمريوطية ، حيث تُوفى هناك وأُعلن عن انتحاره في الساعة ٧ مساءً يوم ١٩٦٧/٩/١٤.

(*) بدأت شحنات الأسلحة السوفيتية تصل، إلى مصر لاستعراض خسائر حرب٦٧ في اليوم الخامس للمعركة،١٩٦٧/٦/٩ حيث كانت شحنات المدرعات السوفيتية قد وصلت في ذلك الوقت.

(*) ملحق (ب) الأحكام التي صدرت في قضية: " محاولة قلب نظام الحكم ".